

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديما على كلمه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين من أصل يهودي، الذين هاجموا الرسول بولس شخصيا.

فردّ عليهم بولس مؤكدا أن المخلص المسيح قد دعاه شخصيا وأعلن له رسالة الإنجيل، وأن الرسل أفرزوه رسولا للأمم. وأكد الرسول بولس أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط. وبرهن من إبراهيم الخليل أن الإنسان يتبرر بالإيمان وليس بالشرعية، بينما يجلب الناموس لعنة الله. وأن موعد الله لإبراهيم قد تم بمجيء المخلص المسيح. وأوضح أن الشرعية قد زيدت لكي يعلن الله القانون الأخلاقي للبشر، وليكتشف الإنسان حقيقة طبيعته الخاطئة. وأن الناموس قد أعطي بواسطة الملائكة على يد وسيط الذي هو النبي موسى، لأنه كان عهدا شرطيا.

وأعلن أن الناموس لم يبطل موعد الله لإبراهيم، ولم يكن ضده، والسبب لأن الشرعية لا تقدر أن تبرر الإنسان. وأن عهد الناموس كان عهدا مؤقتا، إلى أن يُعلن الخلاص عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح. واعتبر الرسول بولس الإنسان في عهد الناموس أنه كان قاصرا، وأن الشرعية كانت الوصي عليه. لكن بعدما جاء المخلص المسيح انتهى هذا العهد المؤقت، ولم يعد الإنسان بالتالي بحاجة إلى وصاية الشرعية عليه.

لا بل أكثر من ذلك، إذ أصبح كل من يؤمن بالمخلص المسيح من أولاد الله المبررين والمخلصين. والسبب كما شرح عندها الرسول بولس: "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح." (غلاطية ٣: ٢٧) إن الإيمان بالمخلص المسيح يعني ثقة الإنسان الكاملة أن المسيح قد أخذ عقاب خطاياها عوضا عنه، عندما مات على خشبة الصليب. وأن الله قد منحه نتيجة هذا الإيمان الغفران عنها، ووهبه الخلاص والتبرير الكاملين. لكن ماذا قصد الرسول بولس بقوله: لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح؟ إن تعبير اعتمدتم يعود إلى المعمودية أي إلى التغطيس بالماء. فعندما يؤمن الإنسان بالمسيح يعتمد بالماء. فماذا تعني المعمودية؟

لقد شرح لنا الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في مدينة رومية أي روما، ماذا تعني المعمودية، فقال: "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته. فدفننا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة." (رومية ٦: ٣ و ٤) إن المؤمن بالمسيح عندما يعتمد بالماء إذن، يعلن موت الإنسان القديم فيه مع المسيح، والذي كان مستعبدا للخطية. لا بل كما دُفن جسد المسيح في القبر، هكذا يَدفن هو أيضا معه جسده القديم تحت الماء. وكما قام المسيح من بين الأموات غالبا ظافرا، هكذا يتحد المؤمن مع المسيح، ويصعد من تحت الماء، إنسانا جديدا، أي خليفة روحية جديدة، تسعى للسلوك في طريق المحبة والخير والصلاح.

إن معمودية المؤمن هي رمز واضح، وإشارة حسية لما حصل من اختبار روحي في حياته. فهو اتحد بالإيمان مع المسيح في موته وقيامته، وها هو يعلن ذلك ويشهد له، عن طريق معموديته بالماء. وقد سبق لنا أن تأملنا في لقاء سابق، بالآية المقدسة التي دونها لنا الرسول بولس في رسالته إلى غلاطية، عندما كتب عن لسان حال المؤمن بالمسيح قائلا: "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ." (غلاطية ٢: ٢٠)

إن المؤمن بمعموديته يعلن إذن، أن جسده القديم المستعبد للخطية، قد مات مع المسيح على الصليب. وأنه قد قام مع المسيح المقام في حياة روحية جديدة، لأن المسيح يحيا فيه. إن هذا يفسر لنا قول الرسول بولس في هذه الآية المقدسة: "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح." أي أن الذي اعتمد بالمسيح قد لبس المسيح، أي صار المسيح المقام يحيا فيه. إن الإنسان إذن يصبح من أولاد الله، عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح، وليس بواسطة تقيده بالناموس أو الشريعة. وهذه نقطة هامة كان لابد للرسول بولس أن يؤكد في نقاشه مع هؤلاء المعلمين من أصل يهودي.

تابع الرسول بولس نقاشه فكشف لنا أمرا آخر يميز الإيمان المسيحي عن عهد الناموس أو الشريعة. فكتب قائلا: "ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأتكم جميعا واحد في المسيح يسوع." (غلاطية ٣: ٢٨) وبتعبير آخر: لا فرق بعد الآن بين يهودي ويوناني، عبد وحر، ذكر وأنثى، فالجميع واحد في المسيح. لقد كان عهد الناموس عهدا مشروطا بين الله وبنو إسرائيل فقط، أي لم يكن يشمل أمم العالم كلها. بينما جاء المسيح لكي يتم وعد الله لإبراهيم الخليل، أن بنسله أي بالمسيح، ستبأرك جميع أجناس وشعوب الأرض. وهكذا بعد مجيء المخلص المسيح، أعلن خلاص الله لكل شعوب الأرض، ولم يعد هناك أية ميزة لشعب على آخر. لا بل صار جميع المؤمنين بالمسيح واحدا، بغض النظر عن الفوارق البشرية والجنسية. وهكذا لم يعد هناك أي فرق بين مؤمن بالمسيح من أصل يوناني أو يهودي، أو إذا كان المؤمن عبدا أم حرا، أو إذا كان ذكرا أم أنثى. والسبب لأن الإيمان بالمسيح يلغي الفوارق بينهم، ويجمعهم ويجعلهم واحدا.

وهذا ما أكده أيضا الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في مدينة أفسس، عندما كتب أن المؤمنين بالمسيح من الأمم واليهود قد صاروا واحداً، وزال الحاجز الذي كان يفصل بينهم. وهذا سبب آخر يجعل المؤمنين بالمسيح من الأمم أن لا يتقيدوا بعهد الناموس أو الشريعة، الذي كان متعلقا باليهود فقط، ولفترة مؤقتة. بينما جاء الإيمان بالمسيح لكي يرفعهم، ويعطيهم الخلاص الكامل والبركة الحقة.

وختم الرسول بولس الأصحاح الثالث من رسالته إلى المؤمنين في غلاطية مؤكداً على حقيقة هامة جديدة إذ كتب قائلاً: "فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة." (غلاطية ٣: ٢٩) لقد كان اليهود يظنون أنهم هم وحدهم نسل إبراهيم الخليل، و يحق لهم وراثته مواعيد الله له. لكن الرسول بولس أعلن لنا هنا أن كل من يؤمن بالمخلص المسيح، يصبح من النسل الحقيقي لإبراهيم، ويرث مواعيد الله له. إن النسل الحقيقي لإبراهيم إذن بنظر الله، ليس هو نسله الجسدي، بل هو كل من يؤمن بالمخلص المسيح. المخلص المسيح الذي وعد الله إبراهيم أنه من خلاله ستتبارك جميع أمم الأرض. وهكذا بمجيء المسيح عمّت البركة الحقيقية كل العالم، وصار بإمكان كل من يؤمن به أن يحصل على هذه البركة، وأن يصبح من نسل إبراهيم الذي يرث كل المواعيد التي أعطها الله لإبراهيم.

ألا ترغب مستمعي الكريم أن تصبح من نسل إبراهيم الحقيقي؟ هذا النسل الذي ينال البركة الحقة والخلاص الكامل؟ تعال إذن بإيمان صادق إلى المخلص المسيح الذي مات على الصليب لكي يمنحك الغفران والتبرير والخلاص.